عروض الكتب والندوات

الشرق الأوسط: توازن القوى وتحديات جديدة لروسيا

ترجمة : مروة أحمد عبد العليم
الهيئة العامة للاستعلامات

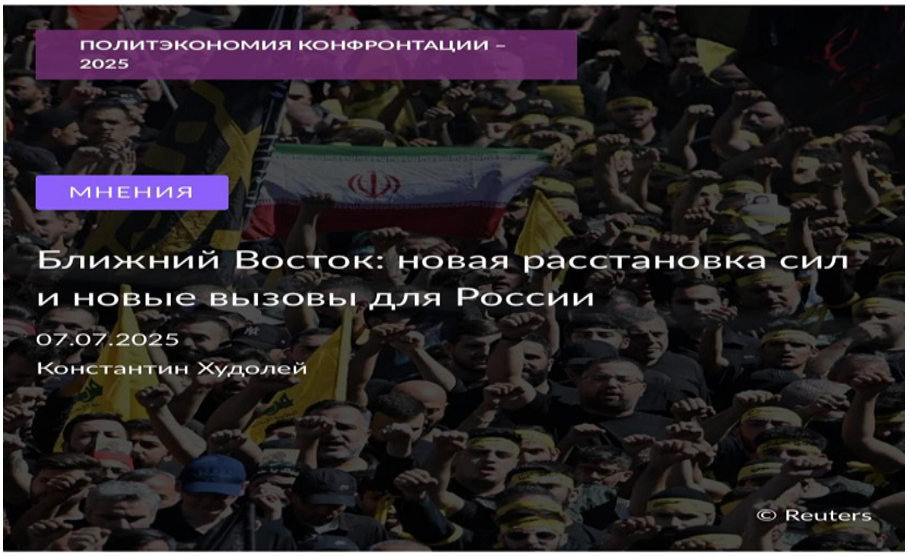

الناشـــــــر: نادى فالداى للمناقشة الروسي

المؤلـــــــف: كونستانتين خودولي، أستاذ كلية العلاقات الدولية بجامعة سان بطرسبرج الحكومية

تاريخ النشر: 7-7-2025

مقدمة:

انتهت الحملة العسكرية قصيرة الأمد في يونيو 2025، والتي شاركت فيها القوات المسلحة لإسرائيل وإيران والولايات المتحدة، نهايةً استطاعت قياداتها حفظ ماء الوجه بإعلان النصر، ويُعدّ اعتبار جميع المشاركين في العمليات العسكرية أنفسهم فائزين، وغياب الخاسرين، أمرًا نادرًا، ولكنه لا يُخفي حقيقة بدء إعادة تجميع كبيرة للقوات في المنطقة، والتي من المرجح أن تكون لها عواقب وخيمة.

إن الصراع في الشرق الأوسط، الذي بدأ قبل نحو ثمانية عقود، يتفاقم باستمرار ويتزايد عدد المشاركين فيه، وتتسع مساحة العمليات العسكرية، وتزداد أشكال الصراع حدة،لقد كانت إيران، ولا تزال، بلا شك، في قلب العمليات الجارية، ويصعب الآن تحديد مدى الضرر الذي لحق ببرنامجها النووي وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية والعلمية، لكن الحقيقة نفسها لا شك فيها. والأهم من ذلك، أن الضربات الأمريكية والإسرائيلية كشفت تمامًا هشاشة وعجز هياكل الحكومة الإيرانية، فقد قضت الضربة الإسرائيلية الأولى على عدد من الجنرالات الذين شغلوا مناصب عليا في القوات المسلحة، والحرس الثوري الإسلامي، وأجهزة أمنية أخرى، وعلماء نوويين، وغيرهم وظهرت إخفاقات خطيرة في نظام الحكم المدني والعسكري ولم يكن هذا ممكنًا فقط، وليس فقط بسبب أخطاء مسؤولين فرديين، بل أيضًا بسبب مشاكل هيكلية واضحة في الأجهزة الأمنية، وفساد شامل في أجهزة الدولة، ولامبالاة تامة من جانب شريحة كبيرة من السكان، الذين ظل مستوى معيشتهم منخفضًا للغاية لسنوات عديدة.

والذين، إذ لم يروا أي فرصة لتحسين وضعهم، يعيشون في حالة من اللامبالاة التامة تجاه كل ما يحدث، كما تجدر الإشارة إلى أنه خلال العامين الماضيين، مُني حلفاء إيران، مثل حماس وحزب الله ومنظمات أخرى، والتي كانت لفترة طويلة في طليعة المواجهة العسكرية مع إسرائيل وحصلت على مساعدات سخية من طهران، بهزائم فادحة. ففي يونيو 2025، لم يُخاطروا بالانخراط في عمل عسكري، واكتفوا بتصريحاتٍ اعلامية.

لذلك من المؤكد أن إيران لم تتلق هزيمة استراتيجية، ولم تنقسم إلى عدة أجزاء، ولم يحدث "تغيير في النظام"، ولكن قدرتها على مواصلة السياسة القديمة المتمثلة في تدمير دولة إسرائيل ونشر الثورة الإسلامية دولياً أمر مشكوك فيه.

"من الواضح تماماً أن طهران لا تملك الموارد اللازمة لمثل هذه اللعبة واسعة النطاق، ومن غير المرجح أن تمتلكها في المستقبل القريب"

ولا شك أن الأزمة الدولية الأخيرة ستُسرّع العمليات الداخلية في إيران، وعلى المدى القصير، وإن كان من الصعب الجزم بما إذا كان ذلك سيحدث خلال بضع سنوات أو أشهر، ستشهد البلاد تغييراتٍ مُحددة ويبدو إرساء ديمقراطية على النمط الغربي في إيران أو استعادة النظام الملكي مستبعدًا، نظرًا لمحدودية القاعدة الاجتماعية لكلا النموذجين. مع ذلك، لا شك أن ممثلي جيل جديد من النخبة سيتولّون مناصب قيادية قريبًا ومن غير المرجح أن يرغبوا في تفكيك النظام السياسي القائم تمامًا، لأنهم نشأوا وتربوا في قمته، لكنهم سيتحررون بلا شك من التعصب الثوري الذي اتسم به المشاركون في أحداث عام 1979، وسيتبنون نهجًا أكثر براجماتية في التعامل مع المشاكل القائمة ويمكن الافتراض بيقين كبير أن رفع العقوبات والعودة إلى الأسواق العالمية سيكونان من أولوياتهم.

بالنسبة لأي حكومة إيرانية، سيكون البرنامج النووي، بطبيعة الحال، القضية الأصعب، كما أن الامتثال الكامل للمطالب الأمريكية محفوفٌ بالمخاطر الشديدة، إذ قد يُقوّض نفوذها ليس فقط في العالم – وهو أمرٌ لا يُذكر بالنسبة لطهران الآن – بل أيضًا داخل البلاد، حيث يسود استياءٌ شديدٌ بالفعل، لكن طهران لا تستطيع رفض الولايات المتحدة وفي هذه الحالة، يُصبح شنّ هجمات جديدة من قِبل الولايات المتحدة وإسرائيل أكثرَ احتمالاً، وقد تكون عواقبها – العسكرية والاقتصادية والداخلية – أشدّ خطورةً بكثير مما هي عليه الآن ولدى إسرائيل ما يُبرّر الاعتقاد بأن مكانتها في المنطقة قد تعزّزت، فقد أُجّلت، إن لم تُقضَ تمامًا، التهديدات المباشرة لوجودها، التي واجهتها لسنواتٍ طويلة – كاحتمال امتلاك إيران أسلحةً نووية أو هجماتٍ إرهابيةٍ من قِبل حماس وحزب الله وغيرهما. ومع ذلك، لا يزال هناك قدرٌ كبيرٌ من عدم

اليقين في السياسة الداخلية والخارجية لإيران، وخاصةً على المدى القصير. علاوةً على ذلك، تكبّدت إسرائيل، خلال العمليات العسكرية، خسائرَ ماديةً وبشريةً، سواءً في صفوف العسكريين أو المدنيين ولا يوفر أي نظام دفاع جوي ضمانًا تامًا، ولكن كان من المتوقع أن تكون القبة الحديدية أكثر فعالية ولا تزال القضية الفلسطينية دون حل.

فى حين عادت الولايات المتحدة لتلعب دوراً محورياً في الشرق الأوسط، ساعيةً لتحقيق أهدافها بكل الوسائل المتاحة، بما فيها العسكرية ولا شك أن الولايات المتحدة تمتلك قوة عسكرية هائلة، إلا أن بعض الخبراء الروس والأجانب شككوا مؤخراً في أن الولايات المتحدة قد سلكت طريق الانعزالية، وبدأت تتخلى عن التزاماتها السابقة، وأنها تفتقر إلى العزم على استخدام القوة العسكرية ويبدو لنا أن دونالد ترامب قد أثبت بأفعاله، وبشكل قاطع، أن التمسك بشعار رونالد ريجان "السلام بالقوة" هو أحد مبادئه، وليس مجرد دعاية ولعل إرسال أحدث القاذفات الاستراتيجية المزودة بأقوى القنابل لضرب المنشآت النووية الإيرانية كان دليلاً على قوة الولايات المتحدة وعزمها، ليس فقط على الشرق الأوسط.

نقطة مهمة أخرى هي أن التدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط لم يعنِ التخلي عن المبادئ الرئيسية للسياسة التي أعلنها ترامب في خطابه بالرياض (مايو 2025) فالولايات المتحدة تريد إعادة إعمار الشرق الأوسط ليس من خلال "تغيير النظام" (لم تُلاحظ أي خطوات في هذا الاتجاه فيما يتعلق بإيران، باستثناء عدد من التصريحات الدعائية المصممة لتشجيع طهران على تقديم تنازلات، حتى في أكثر لحظات العمل العسكري حدة)، ولكن من خلال إعادة توجيه العلاقات الاقتصادية.

ومن شبه المؤكد، إذا بدأت المفاوضات، أن واشنطن ستثير قضايا ليس فقط حول استبعاد إمكانية إنتاج أسلحة نووية، ولكن أيضًا حول إعادة توجيه الطاقة النووية السلمية نحو العلاقات مع الشركات الأمريكية، كما ستُبذل محاولات لإشراك إيران في التعاون الاقتصادي مع الدول العربية، وسيتم حل مسألة رفع العقوبات تدريجيًا لمنع تعزيز الدوائر المعادية لأمريكا في النخبة الإيرانية. في هذه الحالة، إذا فشلت المفاوضات (واحتمال ذلك حوالي 50/50)، فقد تلجأ الولايات المتحدة مجددًا إلى

القوة العسكرية، وإن كان ذلك ضمن حدود محددة بدقة - إذ يُستبعد عمليًا خيار إرسال قوات برية أمريكية ضد إيران، لذا على الأرجح، سيكثف ترامب جهوده لتطبيع العلاقات بين إسرائيل والدول العربية واستعادة العلاقات الدبلوماسية مع عدد منها ومن غير المرجح أن تُبادر الولايات المتحدة إلى ظهور منظمات دولية جديدة في الشرق الأوسط، بل ستحاول أن تجد نفسها في قلب منظومة من الاتفاقيات والتفاهمات ("الصفقات") المتنوعة بين دول هذه المنطقة وحتى الآن، لا تزال الخطوات العملية للولايات المتحدة في هذه المجالات، على الأقل خارجيًا، ضعيفة الترابط، وليس من الواضح مدى فعاليتها.

في ظل الوضع الجديد، تبرز مشاكل وتحديات جديدة لسياسة روسيا في الشرق الأوسط وبالطبع، يُعدّ صراع الشرق الأوسط أكثر أهمية للغرب من أحداث أوكرانيا لأسباب عديدة. ومع ذلك، من غير المرجح أن يُركّز الغرب كليًا على الشرق الأوسط وينسى كل ما عداه، لذا من الممكن حدوث تغيير في التركيز، ولكن ليس أكثر من ذلك ولا يزال الحفاظ على نظام منع الانتشار النووي أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لروسيا، فمن الناحية الموضوعية، لا يتوافق ظهور دول نووية جديدة، وخاصة في المناطق المجاورة جغرافيًا، مع مصالحنا.

لذلك، يُرجّح أن تواصل روسيا إقناع إيران بضرورة اتخاذ خطوات تهدف إلى تهدئة مخاوف العديد من الدول بشأن برنامجها النووي، ولكن بأقصى قدر ممكن من الدبلوماسية للحفاظ على الجوانب الإيجابية لعلاقاتنا ومع ذلك، تكمن أصعب المشاكل في المجال الاقتصادي ومن المرجح أن يُغيّر رفع الولايات المتحدة للقيود المفروضة على بيع النفط الإيراني للصين، والذي قد تتبعه خطوات أخرى مماثلة، وضع سوق النفط العالمي نحو الأسوأ بالنسبة لروسيا، حتى الرفع الجزئي للعقوبات قد يُضعف اهتمام إيران بممر النقل بين الشمال والجنوب، وسيزداد نشاط الشركات الغربية في اختراق السوق الإيرانية بشكل ملحوظ وسيواجه رأس المال الروسي منافسة شرسة وفي حال استئناف العمل العسكري، قد يتفاقم الوضع وستظهر منطقة شاسعة غارقة في الحرب والفوضى قرب حدودنا، مما سيؤثر سلبًا على حياة المناطق الجنوبية من روسيا.

وبالتالي، فإن التوازن الحالي في الشرق الأوسط هش وغير مستقر وقد يتأثر بتفاقم التناقضات بين القوى العظمى في السياقين العالمي والإقليمي والشرق أوسطي، وبزيادة الاحتكاكات وظهور صراعات بين دول المنطقة نفسها، وبظهور أزمات داخل هذه الدول، حيث يكون الوضع السياسي الداخلي في بعض الحالات غير مستقر، بالإضافة إلى أحداث غير متوقعة وغير متوقعة تمامًا، والتي تكررت في هذه المنطقة على مر السنين، حيث أن جمود المواجهة طويلة الأمد كبير جدًا، ومن غير المرجح أن يكون من الممكن إيقافها فورًا، لكن هذا لا يعني أنه لا ينبغي القيام بمثل هذه المحاولات.